المصدر: الاحـــــرار

التاريخ : ١٩٨٩/١٠/٩

# ماذا يقول أعـــداء

# الســـادات

وماذا يقــول الذيــن انصفــوه
فى ذكـــراه الثامنـــة ؟



## كاتب بريطانى يقول :

# الســـادات انتحـــر قـــبل أن يغتالـــوه



عبد القادر حاتم

محمد سيد احمد



لطفى الخولى



احمد حمروش

**مرت ٨ سنوات على اغتيال الرئيس المصرى انور السادات ومازال النقاش فى مصر والدول العربية والغربية دائرا حول شخصيته هل احسن الى مصر ام اساء اليها ؟ هل كان ديموقراطيا ام ديكتاتورا ؟ هل وفر الرخاء لبلاده ام ان سياساته الانفتاحية كانت احد اسباب ازمتها الاقتصادية ؟ هل كان حاكما بامره أم بامر الشعب ؟!**

**وفى ضوء هذه الاسئلة اجرت مجلة « المجلة » التى تصدر فى لندن استفتاء بين عدد من الكتاب والمفكرين الغربيين والمصريين لقول رايهم فى انور السادات وسياساته ودوره فى مصر والعالم العربى وكانت النتيجة ان بعض هذه الاراء معارضة له وبعضها الاخر يصفه بالتميز .**

**بدات مجلة المجلة بفقرات من كتاب الصحفى البريطانى ماك ديرموت وعنوان الكتاب مصر من ناصر الى مبارك .**

**يقول ماك فى كتابه : لقد كان مصرعه مزيجا من القتل والانتحار**

**يقول المؤلف ان الرئيس انور السادات لم يكن له دور رئيسى سواء فى الفترة التى قادت الى حركة ١٩٥٢ واثناء حكم عبدالناصر رغم انه بعد ان تولى السلطة كان يحب ادعاء غير ذلك . كما فعل فى سيرته الذاتية التى اختار لها عنوانا براقا « البحث عن الذات » وكان السادات نموذجا مثاليا للكثير من سياسى العالم الثالث حيث تصبح الهوة واسعة حقا بين الحقيقة وطريقة عرضها**

ويتجاهل الكاتب تاريخ السادات السابق على حركة ١٩٥٢ ويعرض لتاريخه بعدها فيقول انه ظل واحدا من اعضاء الحلقة الداخلية لدى الضباط الاحرار وان لم يشغل اى مركز له قيمة حقيقية ويثير موقعة باعتباره مسئولا عن السياسة المتبعة حيال حرب اليمن التساؤلات وهناك قصة ( لايذكر المؤلف من اين اتى بها ) تروى عن اجتماع قمة فى جدة فى اغسطس ١٩٦٥ حيث قال عبدالناصر مشيرا الى السادات . هذا هو الرجل الذى اوقعنا فى هذه الورطة » .

ويرى المؤلف ان رئاسة السادات لمجلس الامة بين ١٩٦١ و ١٩٦٩ ولم تجلب له نفوذا كبيرا اذ لم تكن للبرلمان ذاته قيمة كبرى فى هذا النظام ولذلك اندهش الناس حينما اعلن عن تعيين

السادات نائبا للرئيس . وعلى الرغم من انه كان موضع تندر وكان ينظر اليه باعتباره موظفا خدم مدة طويلة ، الا انه اكتسب الكثير من الخبرة فيما يتعلق بكيفية عمل النظام .

وينتقل المؤلف الى الحديث عن المرحلة التى اعقبت وفاة عبدالناصر فيقول ان التحدى الاول امام السادات كان كيفية استمراره وجده جالسا على كرسى السلطة دون ان يقتسمها معه منافسوه ثم كيف كيف يقيم توازنا بين السياسات الموروثة من عبدالناصر الذى اعلن انه سائر على دربه وبين البحث عن مخرج يتيح له التحرر التدريجى منها . ورغم انه نجح فى اجتياز تحديه فلم يستطع - فى رأى المؤلف - الحصول على الشرعية الشعبية السياسية كما انه كان يعانى من صعوبات ضخمة ، فالاقتصاد منهك بنفقات الدفاع الباهظة والاسرائيليون يشنون غارات فى عمق مصر لم يمنعها الا جزئيا الوجود العسكرى السوفيتى الذى كان السادات - رغم ذلك - يعتبره احتلالا اجنبيا وتبعية من نوع جديد .

ويرى المؤلف ان حكم السادات كان اخف وطأة من حكم عبدالناصر وان اجهزة الامن كانت اقل تغلغلا وانتشارا ومع ذلك يقول المؤلف - فلا الصحافة ولا التنظيمات السياسية المتاحة استطاعت تقديم اى منفذ حقيقى للتعبير التلقائى عن مشاعر الاحباط لدى الناس . وهى مشاعر وصلت الى ذروتها واضعة السادات موضع السخرية عندما اعلن عام ١٩٧١ عاما للحسم فى المعركة مع اسرائيل ثم تبريره انتهاء العام دون حسم بظروف « الضباب » الذى حار

الجميع فى معرفة كنهه ، الامر الذى ادى بمشاعر الاحباط الى التفجر فى تظاهرات طلابية ضخمة استنكرت فكرة « الضباب » الغامضة .

ويعقد الكاتب مقارنة بين اسلوب كل من عبدالناصر والسادات فى التعامل مع الجامعات ( المركز التقليدى للحركات الشعبية فى مصر ) ففى حين انتهج الاول اسلوبا بث معه عيونه ومرشديه بين هيئات التدرس والطلاب ، لم يتورع السادات عن الزج بقوات الشرطة ( الامن المركزى ) لاقتحام الحرم الجامعي الى درجة اصبح فيها الصدام العنيف بين الطلاب والشرطة سمة عهده .

ويعتبر الكاتب ان الفترة الاولى من حكم السادات التى اتسم فيها الصراع فى الشرق الاوسط بما سمى حالة اللاحرب واللاسلم ، كانت من اصعب الفترات ويشير ايضا الى مذكرة تلقاها الرئيس المصرى فى ٤ ابريل ١٩٧٢ موقعة من عشر شخصيات عامة على راسها عبداللطيف بغدادى نائب رئيس الجمهورية الاسبق واحد اعضاء مجلس القيادة فى حركة ١٩٥٢ بالاضافة الى اثنين اخرين من الضباط الاحرار وقائد سابق للقوات الجوية ونائب لرئيس الوزراء ومحافظ للعاصمة واخرين . وكانت المذكرة التى اثار اعلانها ضجة فى الشارع السياسى المصرى تطالب السادات بالحد من الاعتماد على السوفيت والعودة الى سياسة عدم الانحياز وقد حملت كل هذه الضغوط السادات على رد فعل اصبح علامة مسجلة لاسلوبه السياسى سماه العلاج

بالصدمات الكهربائية وهو اتخاذ قرارات غير متوقعة على الاطلاق تمثل صدمة للجميع . وقد تم ذلك مرارا ـ كما يعدد الكاتب ـ فكما فاجأ السادات الجميع بعقد معاهدة صداقة وتعاون مع السوفيت فى ٢٧ مايو ١٩٧١ فاجاهم بعد عام ليس فقط بانهاء المعاهدة بل بطرد الخبراء والمستشارين العسكريين السوفيت فى ١٨ يوليو ١٩٧٢ .

## السادات صحفيا

وفى الفصل الذى خصصه المؤلف للحديث عن الثقافة والاتصال فى مصر المعاصرة يعرض لمراحل تطور الصحافة وحريتها واصفا فترة السادات بانها تتسم بالالتباس والغموض . ففى حين اعلن الرئيس المصرى عام ١٩٧٤ رفع القيود التى تعيق الحرية الصحفية ، كان يضمر فى واقع الامر نواياه الخاصة بـ « وجوب كيفية العمل الصحفى » ففى فبراير ١٩٧٣ اوقف عضوية ٨٩ صحفيا فى الاتحاد الاشتراكى العربى الامر الذى ادى الى حرمانهم من العمل وكان على القائمة عدد من الاسماء الكبيرة منها لطفى الخولى ولويس عوض ويوسف ادرس من « الاهرام » ومحمد عودة من « الجمهورية » واتهم الجميع ـ ومعظمهم من اليسار ـ باعطاء معلومات غير صحيحة

ويقول الكاتب ان السادات كان شديد الذاتية فى تعامله مع الصحافة والصحفيين حتى انه لم يتورع عن ان يصف احدهم مرة بـ « الكلب » قبل ان يوقفه عن الكتابة عام ١٩٧٦ رغم انه من كبار صحفيى « الاهرام » « محمد سيد

احمد ، والى جانب سيد احمد يقول الكاتب ان هناك الكثير من الصحفيين الذين حيل بينهم وبين صحفهم فى عهد السادات وان كانت طريقة المنع وسببه يختلفان من حالة الى اخرى وكان السادات دائما يبرر مايبدو تناقضا بقوله « اننى اريد حرية الصحافة ولكنى فى الوقت نفسه اريد صحافة مخلصة » .

ويوضح الكاتب الكيفية التى طبق بها السادات مفهومه الخاص بـ حرية الصحافة فيروى انه فى بداية ١٩٧٤ عندما اختارت مصر التعدد الحزبى كبديل عن التنظيم السياسى الواحد الذى كان مالكا فعليا للصحف ، رفعت الرقابة رسميا عن الصحافة غير ان وزير الاعلام المصرى وقتئذ الدكتور عبدالقادر حاتم اجتمع على الفور برؤساء تحرير الصحف ينبههم الى انهم مسئولون مسئولية تامة عما ينشر فى صحفهم وان مهاجمة الولايات المتحدة الامريكية او الاتحاد السوفيتى غير مسموح بها واعتبر الكثيرون انه نوع جديد من الرقابة فالصحفى احمد بهاء الدين يصف تلك الخطوة بقوله ان السادات رفع الرقباء لكنه ابقى مكتب الرقابة الذى ظل يصدر تعليماته الشفوية الى رؤساء التحرير فضلا عن ان السادات شخصيا كان يمنع - دون قرار - ولكن بالتليفون هذا او ذاك من الكتابة .

وبالفعل لم يأت صيف ذلك العام - كما يذكر ديرموت حتى تحدث السادات الى رؤساء التحرير فى الاسكندرية منتقدا الطريقة التشاؤمية التى تتناول بها صحفهم الوضع الاقتصادى معطيا

انطباعا قويا بان رئيس التحرير الذى لم يتمكن من كبح جماح صحيفته سيتعرض للابعاد او على الاقل للنقل الى مكان اخر وعلى الفور اجريت حركة تنقلات استهدفت صحف « الاهرام » و « الجمهورية » و« الاجبشيان جازيت » .

## قرارات جديدة

ولم تمض اشهر عدة على تلك الحركة حتى اصدر السادات قرارات جديدة استهدفت احداث تغييرات بين العديد من رؤساء التحرير ورؤساء مجالس ادارات المؤسسات الصحفية الهامة الأمر الذى اعطى انطباعا بافتقاد الصحفيين السند اللازم لممارسة حريتهم ويعتبر الكاتب ان مظاهرات الخبز فى بداية ١٩٧٧ كانت اختبارا هاما لقدرة الصحافة المصرية عن تقبل المفهوم الساداتى حول الحرية الصحفية ويقول ان معظم الصحف تمكنت من اجتياز الاختبار ما عدا « روز اليوسف » و « الطليعة » اليسارية الصادرة عن مؤسسة الاهرام حيث جازف كتابهما فى تسجيل اعتقادهم بان الاضطرابات انما كانت تعبيرا تلقائيا عن المعاناة الشعبية . وهو الاعتقاد الذى كان بعيدا جدا عن التفسير « الرسمى للاحداث وعليه لم تمض اسابيع قليلة فى ابريل ١٩٧٧ حتى كان للمطبوعتين رئيسا تحرير جديدان .

وعلاقة السادات ـ الذى رأس تحرير جريدة « الجمهورية » يوما ما بالصحافة لم تنته عند هذا الحد . ففى يوميات الصحافة المصرية ان السادات

دعا فى ٢٨ اغسطس ١٩٧٤ لجنة خاصة لصياغة ورقة عمل تعيد تنظيم المهنة . كما انه فى ١١ مارس من العام التالى اصدر مرسوما بتشكيل المجلس الاعلى للصحافة بات يملك من المؤسسات الصحفية مانسبته ٤٩ ٪ الا انه رغم تلك الخطوات شهد عهده مصادرات متوالية طالت جريدة « الاهالى » الحزبية اليسارية مما ادى الى احتجابها الكامل عن الصدور . كما شهدت سنوات حكمه الاولى قوائم ضمت الصحفيين المفصولين من الاتحاد الاشتراكى ( مما يعنى ضمنا منعهم من الكتابة ) كذلك شهدت سنواته الاخيرة قرار المدعى العام الاشتراكى استدعاء ٦٠ صحفيا للتحقيق معهم ( ٢٦ منهم فقط كانوا ما زالوا يعملون فى مصر ) وعلى القائمة كانت اسماء مثل محمد حسنين هيكل واحمد حمروش ومحمد سيد احمد وصلاح عيسى ثم بلغ الامر ذروته بقرارات سبتمبر ١٩٨١ التى تضمن الغاء تراخيص عدد من الصحف واعتقال الكثير من الصحفيين .

ومهما يكن من امر يتفق المؤلف مع الكثيرين على ان حرب اكتوبر ١٩٧٣ اسست شرعية السادات باعتباره زعيما مصريا كما فتحت الباب امام مفاوضات مصرية اسرائيلية بدأت عند الكيلو ١٠٩ بعد ان كانت مثل هذه المفاوضات من قبل امرا ملعونا واتاحت حرب اكتوبر للرئيس المصرى اقامة علاقاته الخاصة بالولايات المتحدة الامريكية واعادة تشكيل السياسة الخارجية والداخلية « وفقا لذوقه » .

ويرى الكاتب ان السادات كان يحب

الحرية ويعتبرها « طبقه المفضل » كما كان يحب التخفيف من التدخل الحكومى فى حياة الناس والصحافة الا انه اعتقد طيلة الوقت انه طالما هو الذى يمنح الحرية فله ان يحدد القدر المتاح منها .

وسار السادات فى طريق الانفتاح الاقتصادى مطلقا العنان لقوى السوق كما فتح الباب امام تعددية حزبية محدودة وعلى الرغم من الشكل الديموقراطى الليبرالى فى هذه التجربة قياسا على عبدالناصر . الا ان الاكثر ترجيحا انه لم يكن ديموقراطيا فى داخله اذ لم تكن المعارضة بناءة فى راية الا اذا تجنبت تماما اى نقد يوجه اليه او الى سياساته مما اوصله فى النهاية الى ان يصبح تدريجيا حاكما مطلقا على نحو فريد .

ولذلك لم يجد السادات من ينبهه الى موقف الناس من اصلاحه الاقتصادى الذى الحق بمصر اشد الاضرار ، ففوجىء بقيام مظاهرات الخبز فى يناير ١٩٧٧ التى حمل **الاتحاد السوفيتى وليبيا واسرائيل واليسار المصرى مسئوليتها معلنا ان لافرق بين الشيوعيين وبين من يدعون انهم ورثة عبدالناصر فلم يعد هناك ناصريون بعد نهاية عبدالناصر فى هزيمة يونيو ١٩٦٧ .**

## التظاهرات والقدس

ويربط المؤلف بين مظاهرات الخبز وبين قرار السادات الذهاب الى القدس كما يربط بين رحلة القدس وبين اغتيال السادات غير انه يحرص على ان يسجل اعتقاده بان هناك جوانب اخرى ادت الى

ذلك من قبيل ابتعاد السادات عن نبض الحياة اليومية للناس واسلوبه المترف فى الحكم والمتسم بالانغلاق على الذات والاحاطة بقلة من الاصدقاء شديدى الثراء ويعتقد المؤلف ان هناك مصريين معجبين بالرجل . فالسادات بعد سنوات عجاف اعاد مصر بطريقة مسرحية صاخبة الى الخريطة العالمية عبر زيارته المفاجئة الى القدس . ويقول الكاتب ان مبعث الرثاء ان احساسا بانه معصوم عن الخطأ بدأ ينمو لديه بعد ان اصابه الغرور احتضان الغرب له ومديحه اياه . وكان اعجاب الغرب بالسادات وتمجيده عاملا فى دماره .

وبعد ان انتقل السادات الى المراتب العليا بين نجوم السياسة العالمية كان يسعده ان يرى وهو فى صحبة زعماء العالم المرموقين اكثر من ان يولى اهتماما مشاكل بلاده الداخلية وكانت الهليكوبتر وسيلته المفضلة للتنقل داخل مصر . ولم يغفر له المصريون هذه المكانة المتعالية وهذا الابتعاد وفى النهاية مات دون ان يترك احساسا بالخسارة او الاسر فروابطه بالشعب كانت قد تمزقت منذ زمن بعيد فاذا كان من الصحيح حقا ان خالد الاسلامبولى هو الذى اطلق عليه الرصاص فالاكثر صحة ان سلوكه ذاته كان بمثابة الانتحار السياسى والشخصى .

# العمدة

ورغم التحليل المتعمق الذى يورده ديرموت فى كتابه حول اسلوب حكم السادات الا انه لايعطى الاهتمام الكافى للطريقة التى حاول الرئيس المصرى ان يتخلص بها ليس فقط من ارث سياسات خلفه عبدالناصر بل وايضا من الماضى فمن دون ان يتنبه احد ، غير السادات اسم البلاد « من الجمهورية العربية المتحدة الى جمهورية مصر العربية » كما غير العلم والشعار الرسمى للدولة فضلا عن نشيدها القومى بل حاول - بطريقة غير مباشرة تغيير الاسم الذى استقرت عليه الاطالس الجغرافية للبحيرة الصناعية الكبرى التى اوجدها السد العالى وراءه وبالاضافة الى كل ذلك غير الزى الرسمى للقوات المسلحة المصرية واسم الوزارة المسئولة عنها بل حتى الخطوة العسكرية لجنودها !! .

وكما كان للسادات اسلوبه الخاص وصيغة اللغوية المميزة فقد اوجد لنفسه عالمه الخاص فهو « كبير العائلة المصرية » والرئيس المؤمن « والحريص على » « اخلاق القرية » والمستنكر للعيب والمرتدى العباءة الريفية التقليدية وقد اراد السادات ان يلعب دور العمدة بكل ماتعنيه هذه الكلمة فى التركيبة الاجتماعية لقرية الثلاثينات والاربعينات من هذا القرن الا ان التاريخ لايعود الى الوراء .